الأخضر بن يوسف ومشاغله

نبيّ يفاسمني شقتي
يسكن الغرفة المستطيلة
وكل صباح يشاركني قهوتي والحليب ، وسر الليالي الطويله
وحين يجالسني ، وهو يبحث عن موضع الكوب في المائدة
ـ وكانت فرنسية من زجاج ومعدن ـ
أرى حول عينيه دائرتين من الزرقة الكامدة .
وكانت ملابسنا في الخزانة واحدة :
كان يلبس يوما قميصي
والبس يوما قميصه
ولكنه حين يحتد ... يرفض أن يرتدي غير برنسه الصوف ..
يرفضني دفعة واحدة
ويدخل كل المزارع ...
يحرث ، أو يشتري سكرا ، أو يقول العلامة

●

ولما التقينا على حافة البار أخرج من جيبه زهرة ، وانحنى هامسا : انها لي ... اتيت بها عبر أسوار « وجدة » حيث الحدود التي ما تزال معارك .. لكنها
ـ ويقدم لي زهرة الآس ـ ملك لك الآن ...
افعل بها ما تشاء ، سوى أن اراها بجيبك ذابلة ..
آه ... وجدة ... وجدة .. ان طريق «الصخيرات» يغلقه الحرس الملكي ... أتيت بها من هناك ، وخبأتها بين جلدي واحدية الحرس الملكي التي اثقلتها المسامير ـ يكشف لي صدره مسرعا ، ثم يغمض عينيه ـ وجدة ... وجدة ... كيف تكونين لو جئت عندي !

●

يرافقني في زيارة محبوبتي ...
ثم يدخل قبلي
يقبّلها في الجبين
وينظر في مقلتيها طويلا ، ويجلس في آخر الحجرة المعتمة
وأذ ارسم الرغبة المبهمة
وسائد ، أو منزلا
يرسم الرغبة المفعمة
نسورا ـ طباشير ، فوق الجدار الذي يحمل النافذة
ويدنو ،
ليأخذ كف الفتاة (أنا جالس لصقها)
ثم يمضي بها خارج الحجرة المعتمة

●

على باب « سبتة »
كان رجال الجوازات خلف مكاتبهم
يحتسون النبيذ الرديء
وفي البعد ...
حيث المدينة في ليلة العيد
تخترق الشهب الاصطناعية الأفق المتلبد
كانت تضيء
تضيء
تضيء
وظل رجال الجوازات خلف مكاتبهم
يعلكون النبيذ الرديء
تتبعته ، خجلا ، ما يزال الدراعان معتنقين ،
انتظرت قليلا امام التقاطع ، كانت فتاتي تشير الى واجهات المخازن ضاحكة ... كان يسخر منها ، مشيرا الى الشجر المتطاول في مدخل المسبح البلدي استدارا ، فأسرعت خطوي وراءهما ... هاهما يدخلان الحديقة : هل تبصرين الغصون الصغيرة ؟ هل تلمسين بها الخضرة البكر ؟ هل تسمعين بها النبض مندفعا ؟ قربي ذلك الغصن منك ... واجعليه لصيق ذراعك ... كوني له نسفه وليكن في ذراعك منه ارتسام الوريقات .... حرية الطفل حين يلامس اهدابه في المرايا ...
.....
.....
.....
وقبّل زند الفتاة !

●

ـ سأستخدم اسمك ...
معذرة !
ثم وجهك ...
انت ترى أن وجهك في الصفحة الثانية
قناع لوجهي
وانت ترى أنني ارتدي الربطة القانية
أتذكرها ؟
يوم كنا معا في « الحسيمة »
حيث اهتدينا اليها
ويوم قصدت المصور ، قبل جواز السفر
وقبل السفر
وقد كنت الححت ان ترتديها ..
.....
.....
.....
رجال الجوازات خلف مكاتبهم
يعلكون النبيذ الرديء
وكان جواز السفر
يطالعهم ، واحدا ، واحدا ...
بين أختامهم والنبيذ الرديء ..

بغداد — سعدي يوسف